

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يذكرون الله وكأنما على رؤوسهم الطير

الصبر على الطاعة من أفضل أعمال البر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما أعطى أحد من عطاء خير وأوسع من



■ كثير من الخلق
يسهل عليهم
الصبر على
المصائب والبلايا
وعن المعاصي
ولكن قليلاً منهم
من يصبر على
طاعة الله

قال الشافعي: «رأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره اجمع حافياً راجلاً على اللبثات يعلفهن الغداء، فإذا أتى نصفه صبر والنصف الآخر لشكر، وقد ذكر الصبر في القرآن في تسعين موضعاً في موطن المدح والنهء والأمر به، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو أنواع:

1. الصبر على طاعة الله، وهو الفضلها.
2. الصبر عن معصية الله عن وجل، وهو يلي النوع الأول في الفضل.
3. الصبر على امتحان الله عن وجل.

قال ابن القيم رحمه الله: «فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه».

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها اكل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعته، وتقريلهم بيته وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختيار، ولا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، أما صبره عن المعصية، قصير الاختيار ورضاء، وحاربة للنفس، ولا ينميا مع الأسباب التي تلوى معها دواعي الموافقة، فإنه كان شاعياً، وداعية الشيايط إليها قوية، وغزياً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غريبته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ويمتلكو والملوك أيضاً ليس له وزع كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سيده، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والجريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيماناً لما عند الله، وابن هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه؟!

وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات اكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك للمعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض

نزلت في جذر قلوب الرجال قبل هبوط الوحي بكتاب الله

الأمانة.. ضمير حي إلى جانب فهم صحيح للقرآن والسنة

الإاماة التي تدعو الى رعاية الحقوق، وتصمم عن الدنيايا، لا تكون بهذه المثابة الا اذا استقرت في وجدان المرء، ورست في أعماله، وهيمت على الداعي والقاصي من مشاعره، وذلك معنى حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فلعلموا من القرآن وعلموا من السنة، والعلم بالشريعة لا يغني عن العمل بها، والامانة ضمير حي الى جانب الفهم الصحيح للقرآن والسنة.

واذا مات الضمير انتزعت الامانة، فما يغني عن المرء ترديد لأليات، ولا دراسة للنس، وأدعاء الاسلام بزعوم للناس وقد يزعمون لانفسهم أنهم اماناء، ولكن هيهات ان تستقر الامانة في قلب تنكر للحق ومن ثم يستطرد حذيفة في وصفه، لتسرب الامانة من القلوب التي تتخلل فيها البين، فيروي عن الرسول: «ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال: ينأى الرجل التومة فتنتقض الامانة من قلبه، فيبطل أثرها مثل أثر للجل كالتيور التي تظهر في اليد مثلا في استخدام الأدوات الخشنة ثم قال: فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الامانة؛ حتى يقال: «ان في بني فلان رجلا أميناً، وحتى يقال للرجل: ما أجده ما أقره ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من امانة»، والحديث يصور انتزاع الامانة من القلوب الخائنة تصويرا مخرجاً فهي كذكريات الخير في النفوس الشريرة، تمر بها وليست منها، وقد تترك من مرها اثراً لأعما، بيد انها لا تحيي ضميراً مات،

واصبح صاحبه يزن الناس على أساس أثرته وشهوته، غير مكتر بكر أو ايمان؟! ان الامانة فضيلة ضخمة، لا يستطيع حملها الرجال المهزأيل، وقد ضرب الله المثل لنضامتها، فأبان أنها ثقلى كاهل الوجود فلا يتغنى للانسان ان يستهين بها، أو يفرط في حقها. قال الله تعالى: «اناعرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابتن ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا»، والظلم والجهل اقلتان عرضتا للفطرة الاولى، وغنى الانسان جهادهما، فلن يخلص له ايمان، الا اذا تقاه من الظلم: «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن» ولن تخلص له تقوى الا اذا تقاهما من

الجهالة: «انما يخشى الله من عباده العلماء»، ولئلك يعد ان تقرا الآية التي حملت الانسان الامانة تجد ان الذين غلبهم الظلم والجهل، خانوا وانافقوا واشركوا، فحق عليهم العقاب، ولم تكن السلامة الا لاهل الايمان والامانة: «ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما».

الوفاء اذا أكرم المسلم عقدا فوجب ان يحترمه، وانا اعطى عهدا فوجب ان يلتزمه ومن الايمان ان يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي اليها كما ينتهي لاشاء عن شططاته: فيعرف بين الناس بان كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها ولا مطع في

قال انس: فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بالسيف ووطعته بالرمح ورمية بسهم، ووجدناه وقد مثل به المشركون، فما عرفه الا اخته، بشاعة فيه، ما بيناته.. قال انس: كنا نرى ان هذه الآية نزلت فيه وفي اشباهه: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فممنهم من قضى نحبه وممنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا».



■ كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه لأنها أمور جرت بغير اختياره

اتصف الصديق بالأخلاق الحميدة، والصفات الرفيعة ومسابقتها في الخيرات حتى صار في الخير قدوة، وفي مكارم الأخلاق أسوة، وكان حريصا أشد الحرص على الخيرات، فقد أبى أن ما يمكن أن يقوم به المرء اليوم قد يكون غير ممكن في الغد، فاليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل، ولذلك كان من المسارعين في الخيرات: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من أصبح منكم اليوم صائما؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة».

كظمه للغيظ

قال ابو هريرة: ان رجلاً شتم ابا بكر ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يعجب ويبتسم، فلما أكثر الرجل رد عليه ابو بكر بعض قوله، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقام، فلفحه أبو بكر وقال: يا رسول الله، كان يستمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله غضبت وقلت: فقال عليه الصلاة والسلام: «انه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان»، فلم أكن لأقعد مع الشيطان»، ثم قال: «يا ابا بكر، ثلاث كتين حق: ما من عبد ظلم بمنظمة فيغضي عنها له -عز وجل- الا أعز الله بها نفسه، وما فتح رجل باب عطية يريد بها مسألة الا زاد الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة الا زاد الله بها قوة»، ان الصديق رضي الله عنه اتصف بكظم الغيظ ولكنه رد ما قلن الله به بسكت هذا الرجل، فرغبه النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحلم والأناة، وأرشدته الى ضرورة تحليه بالصبر في مواطن الغيظ، فإن الحلم وكظم الغيظ مما يزيد المرء ويجمله في أعين الناس، ويرفع قدره عند الله تعالى.

ويتبين لنا ذلك من هذا الموقف حرص الصديق على عدم الغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- الإفصاح، وذلك يدخل على أنه كان فاضلا على الاطلاق، وكان مفضلا على الاطلاق، ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه «أولو الفضل والسعة» للمظلوم الصابر المحتسب لأجره والثواب، وقبه حث على العطايا، وصلة الأرحام، ودم للمسالمة وأهلها.

وظل الصديق متمسكا بالحلم وكظم الغيظ

عُرف بالحلم والأناة ولين الجانب والرفق

أبو بكر السبّاق في فعل الخيرات ومكارم الأخلاق

حتى عُرف بالحلم والأناة، ولين الجانب والرفق، وهذا لا يعني أن ابا بكر لم يكن بغضب، وإنما كان غضبه لله تعالى، فإذا رأى محارم الله قد انتهكت غضب لذلك غضبا شديدا. لقد عاش بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «متاملا ومتفكرا» وعابلا بقوله تعالى: «وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين».

بلى أحب أن يغفر الله لي

كان أبو بكر يغول مسلط بن أئاته، فلما قال في عائشة -رضي الله عنها- ما قال (حديث الألف المشهور) أقسم بالله أبو بكر ألا يبلغه أبدا، فلما أنزل الله -عز وجل-: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليفقوا ولينصنفوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» [التور: 22] قال أبو بكر: والله اني أحب أن يغفر الله لي، فرجع الى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

ولقد فهم الصديق من الآية أن على المؤمن التخلق بأخلاق الله، فيعفو عن الهفوات والزلات والزلز، فإن فعل فآلهه يعفو عنه ويسترد ذنوبه، وكما تدب نداء، والله سبحانه قال: «الا تحبون أن يغفر الله لكم؟ اي: كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن ذوتكم. وكما أن في الآية من حلف على شيء الا يفعله، فرأى أن فعله أولى من تركه، اتاه وكفر عن بيمته، وقال بعض العلماء: هذه أرجى أبة في كتاب الله تعالى: من حدث لطف الله بالهفة المعصاة بهذا اللفظ.

لقد دلت هذه الآية على أن ابا بكر أفضل الناس عند النبي -صلى الله عليه وسلم-: لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية، دلت على علو شأنه في الدين، أورد الرازي في تفسيره أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة» منها: أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الاطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الافضال، وذلك يدخل على أنه كان فاضلا على الاطلاق، وكان مفضلا على الاطلاق، ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه «أولو الفضل والسعة» للمظلوم الصابر المحتسب لأجره والثواب، وقبه حث على العطايا، وصلة الأرحام، ودم للمسالمة وأهلها.

من أجل النار.



تزكية الأزواج بالتدبر والتأمل وأداء العبادات

البناء التعبدى والأخلاقى في العهد المكي

قال: الرحمن الرحيم: قال الله تعالى: «التي على عيدي، وإذا قال: مالك يوم الدين: قال: مجدي عدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: عدي، ما بيني وبين عيدي ولعدي ما سأل، فإذا قال: أعدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعدي ولعدي ما سأل».

طمانينة النفس وراحتها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى، وقد جعلت فرة عينه في الصلاة، وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة كثيرا من السنن والنوافل ليزدادوا صلة بربهم، وتأمين بها نفوسهم، وتصبح الصلاة سلاحا مهما لحل همومهم ومشاكلهم.

الصلاة حاجز عن المعاصي: قال تعالى: «اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكّر الله أكبر والله يعلّم ما تشعّون».

كان الصحابة رضي الله عنهم عندما يؤدون صلاتهم لتتريح بها نفوسهم، وتمدهم بقوة دافعة لفعل الخير والابتعاد عن المنكرات، فكانت لهم سباجا ميقنا حماهم من الوقوع في المعاصي.

في الإسلام، فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر من أدرانها وتتصل بخالقها لا تقوم بالتكاليف الشرعية الملقاة عليها، والعبادة والمداومة عليها تعطي الروح وقودا وزادا ودفعا قويا إلى القيام بما تؤمر به.

إن الصلاة تأتي في مقدمة العبادات التي لها أثر عظيم في تزكية روح المسلم، ولعل من أبرز أنارها التي أصابت الرعيل الأول.

الاستجابة لأمر الله تعالى وإظهار العبودية له سبحانه: وقد ألقى الله تعالى على عباداه المؤمنين الذين استجابوا لأمره، فقال عز وجل: «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وآزره شؤرى بينهم وتمّاز رفقاهم ينفقون» [الشورى: 38].

وكان الرعيل الأول يرى أن لكل عمل من أعمال الصلاة عبودية خاصة وتأثيرا في النفس وتزكية للروح.

مناجاة الرب ربه: وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا من مشاهد هذه المناجاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عيدي نصفين، ولعدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبيدي، وإذا

تزكية أرواح الرعيل الأول بانواع العبادات: رزى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على تزكية أرواحهم وأرشدهم إلى الطريق التي تساعدهم على تحقيق ذلك المطلب من خلال القرآن الكريم ومن أمهها:

التدبر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله تعالى. فقال: يا رسول الله غيبت عن أول فقال قالت المشركين لئن أشهدني الله مع النبي قتال المشركين ليرين ما أصنع فلما كان يوم «أحد» اكتشف للمسلمون، فقال: اللهم اني أعترزك ما صنعت هؤلاء يعني أصحابي وأبرا اليك مما صنع هؤلاء يعني للمشركين ثم تقدم.. فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني لأجد ريحها من دون أحدنا قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، ثم تقدم..

قال انس: فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بالسيف ووطعته بالرمح ورمية بسهم، ووجدناه وقد مثل به المشركون، فما عرفه الا اخته، بشاعة فيه، ما بيناته.. قال انس: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي اشباهه: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فممنهم من قضى نحبه وممنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا».

وذكر الله تعالى، والتسبيح له سبحانه امر مهم